

القسام بأن الثورة يجب أن تعتمد على الفلاحين والعمال ، فقد اختار أعضاء منظمته من أوساط « الفلاحين والعمال » الذين كانوا يسكنون في ضواحي حيفا .

حين انتقلت جماعة القسام الى الريف أحس الجواسيس المكلفون بسرقتهم أنهم غائبون ، فازداد قلق السلطات المحتلة ، ونشطت في البحث عنهم . وفي يوم ١٤ نوفمبر عام ١٩٣٥ التقى نفر من جماعة القسام بجاويش يهودى ، وشرطى عربى ، فقتلوا الجاويش ، وتركوا الشرطى حيا ، وقد أخبر الشرطى بما رأى ، فحشدت السلطات المحتلة قوة كافية ، وأخذت تجوب المنطقة بحثا عما أسماه الانجليز « العصاة » .

استمر البحث أياما ، حتى أن جريدة فلسطين كتبت تقول : « قضاء جنين كأنه ساحة حرب » . استطاعت القوات البريطانية أن تحكم الطوق على جماعة القسام الذين قاوموا مقاومة باسلة ، ولكنهم كانوا في واد عميق ، ولم يفكروا في التسلسل والهرب ، بل في المقاومة والاستشهاد ، ولذلك فان القسام حين طلب منه الاستسلام أجاب : « اننا لن نستسلم ، ان هذا جهاد في سبيل الله والوطن » والتفت الى زملائه وقال : « موتوا شهداء » . واستمر الاشتباك الاخير من الفجر حتى التاسعة صباحا ، حين قتل القسام وبعض صحبه ، وجرح آخرون منهم الشيخ نمر حسن السعدى .

لم تستطع حركة القسام أن تحقق أهدافها الأولية فقد قتل قائدها ، وبعض كبار معاونيه . الا أن الحركة لم تذهب سدى ، ذلك ان بعض جماعة القسام ، قد افترقوا عنه ، بقيادة الشيخ فرحان السعدى بعد مقتل الشاويش اليهودى فنجوا ... ثم ان مقتل القسام حرك البلاد ، وأثار كوامن حقدتها ونقمتها ... » .

هذه هي صورة « القسام » كما يرسمها الأستاذ ناجى علوش ، بكل أبعادها الواضحة العميقة وهي صورة حية نبيلة مشرقة لمثقف ثورى